العودة إلى يثرب

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(سورة آل عمران الآية: ٢٦)

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

(سورة آل عمران الآيتان: ٩٦، ٩٧)

* * *

«حصن ثقيف بالطائف، مالك بن عوف جالس مع نفر ممن أجاروه، يتبادلون الحديث فيما يتوقعون أن يكون مسلك محمد نبى الإسلام مع وفد هوازن الذى انطلق إليه بالجعرانة.. يدخل بعض أفراد الوفد، فينقلون إلى المجتمعين ما كان من أمرهم مع محمد – عليه السلام – فى الجعرانة».

أحدهم : (لمالك) قد سأل عنك محمد.

مالك بن عوف : (مرددًا) سأل عنى؟

الهوازنى : قال أخبروه إنه إن كان يأتى مسلمًا رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل.

مالك : (يردد كالحالم) أهلى؟!

الهوازنى : حبسهم بمكة عند عمتهم أم عبد الله بنت أمية. قلنا له: يا رسول الله، أولئك سادتنا وأحبتنا إلينا. فقال: «إنما أريد بهم الخير»

«مالك بن عوف يطرق طويلا، ولا يعلق..».

* * *

«بالحصن بالطائف، وقد أرخى الليل سدوله.. مالك بن عوف ينهض فى حذر فينادى غلامه ويأمره أن يجهز فرسه للرحيل سرًّا.. لقد أزمع أمره على اللحاق بنبى الإسلام فى الجعرانة، وإنه ليخشى إن علمت ثقيف بنيته أن تحبسه وتستبقيه.. مالك يتزود ببعض الزاد، ويرحل

بفرسه سرًّا تحت جنح الليل ميممًا شطر الرحمة المهداة..».

* * *

«بالجعرانة، النبى - عليه السلام - بين صحابته، يقبل مالك بن عوف فيسلم بتحية الإسلام..».

صحابى : من الرجل؟

مالك بن عوف : مالك بن عوف.. (يلتفت صوب النبى) جئت أشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمدًا رسول الله.

«يكبر المسلمون فرحين، ويأمر النبى - عليه السلام - بمن يعلمه القرآن والإسلام، وينادى بصحابته أن يردوا عليه أهله وماله، وأن يعطوه مائة من الإبل، ويجعله عليه السلام عاملا له على من أسلم من قومه حول الطائف.. مالك لا يستطيع أن يكبح ما غمره من الفرح والمسرة، يخرج مسرعًا ليلحق بأهله وهو ينشد.

مالك بن عوف: ما إن رأيتُ ولا سمعت بمثله في الناسِ كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى ومتى تشأ يُخبرك عما فى غدِ

* * *

«مضارب قبيلة كعب بن زهير بالبادية، كعب فى بعض قومه وقد وصله كتاب من شقيقه بجير ابن زهير.. كعب يفض الخطاب على شوق، فهو لم ير شقيقه منذ أسلم وتركهم ولحق برسول الله،

مـا يكاد كعب يفض الخطاب ويقرأ ما فيه حتى يكفهر وجهه!!»

القوم : ما بالك ؟

كعب بن زهير : بجير!

القوم : (فى إشفاق) أصابه مكروه؟!

كعب : (فـى ذهول) يقـص أمر محمد والمسـلمين وانتصارهم بمكة وحنين ورجوعهم من الطائف..

القوم : سبقت إلينا الأنباء بذلك.

كعب : ولكنه ينذرنى ثم يطمئننى ويدعونى!

القوم : (مرددين فى دهشة) ينذرك ثم يطمئنك ويدعوك؟!

كعب : يلمح بأن ما قلته من هجاء فى محمد كفيل بقتلى! وأن من بقوا من الشعراء الذين هجوه قد هربوا فى كل وجه! يقول بجير إن لم تفعل وتأتيه، فانج إلى نجاتك فى الأرض!

القوم : لا سبيل له إليك!

كعب : بجير يطمئننى ويدعونى.. يقول إن محمدًا لا يسىء ولا يقتل أحدًا جاء تائبًا!

القوم : (مستنكرين) يريدك أن تتوب إلى محمد؟!

كعب : أو أنجو بنفسى إلى حيث أشاء من أغوار الأرض.

القوم : (محذرين) لا تذهب إليه.. أنت مقتول إن ذهبت!

كعب : يؤكد بجير أنه لا يقتل أحدًا جاءه تائبًا.

القوم : وما أدراك؟!

كعب : أأظل حياتـى طريـدًا شـريدًا.. (متمتمًا) ما أحسـب أخى بجـير إلاّ صادقًـا فيما يقول.. ماكان أخـى ليدفع بى إلى التهلكة..

القوم : (محذرين) قد حذرناك، فأنت وشأنك!

«ينصرفـون تاركـين كعبًا غارقًا فـى همومه وأفكاره لا يدرى بعد ماذا يفعل!».

* * *

«الجعرانة: ليلة الأربعاء لثنتى عشـرة من ذى القعدة للسنة الثامنة للهجرة، النبى - عليه السلام - يحـرم مع بعض المسـلمين للعمـرة بعـد أن أمر ببقايا الفيء فخمس «بمجنة» بناحية «مر الظهران» (على مرحلة من مكة).. النبى والمسلمون ينطلقون إلى البيـت الحرام بمكـة المكرمة تجيش صدورهم بالامتنان وتفيض مآقيهم بالدمع شـكرًا وحمدًا لله على ما أفاء به عليهم من نصر تلو نصر.. تتصاعد تلبياتهم فتشـق سـكون الليل فـى الصحراء وهم ماضون يتحرقون شـوقًا للوصول إلى الحرم المبارك والاعتمار وذكر الله بالبيت العتيق..».

* * *

«ليـلا بالبيت الحرام بمكـة، النبى - عليه السلام - يدخل والمسلمون يلبون من ورائه، يطوف - صلى الله عليه وسلم - ويطوف المسلمون معه.. يرملـون بالبيت ثلاثًا ويمشـون أربعًا وقد جعلوا أرديتهم تحت آباطهم ثم يقذفونها على عواتقهم اليسرى.. النبى - عليه السلام - يصلى ركعتين

عند مقام إبراهيم، ثم يسعى ويسعى المسلمون معه بين الصفا والمروة، بينما يحس أهل مكة بدبيب حركة الطائفين والركع السجود، فيخرجون تباعًا للاكتحال برؤية رسول الله الذى ما كاد يفرغ من مناسك العمرة، حتى ينطلق والمسلمون عائدين إلى «الجعرانة» مودعًا من أهل مكة وقد ترك عليهم عَتّاب بن أسيد ومعه معاذ بن جبل لتفقيه الناس بالدين..».

* * *

«بالجعرانة مع تباشير الصباح وقد آب النبى والمسلمون من العمرة، يأمر عليه السلام بتجهيز الخمس الذى بقى من الفيء ليأخذه إلى المدينة ليرده ويقسمه على فقراء المدينة كما اعتاد.. يقول بعضهم لبعض ليست الدنيا لمحمد ولا لآل محمد..».

* * *

«الجعرانة، قبل شد الرحال إلى المدينة.. النبى - عليه السلام - يدعو إليه عمرو بن العاص، يوفده فى بعثة إلى جَيفَر وعمرو ابنى الجُلُنْدى بعمان.. يعهد إليه بأخذ الصدقات من أغنيائهم وردها على فقرائهم - عمرو ينطلق بمن معه مشيعين بدعاء الرسول والمسلمين..».

* * *

«مشـارف المدينة المنورة فـى آخر ذى القعدة للسـنة الثامنة للهجرة، وقد وصل البشير بعودة رسـول الله والذيـن معـه.. يخرج أهـل المدينة لاستقبال العائدين الذين نيفت غيبتهم عن المدينة على شهرين ونصف الشهر، بينما تصعد النسوة إلى أسطح الدور مشتاقات للاكتحال برؤية الرحمة المهداة.. تقترب القافلة المباركة من المدينة والنبى – عليه السـلام – على ناقته القصواء يخف إليه المستقبلون بوجوه مشـرقة وقلوب عامرة بالغبطة والمسرة.. تنهمر الذكريات على الجميع لتستحضر كيف كانت رحلة الرحمة المهداة الأولى إلى يثرب التـى أتاها وحيدًا مهاجرًا مع الصديق أبى بكر، وبين اليوم الذى أتاها مع أرتال المسلمين مظفرين بما نصرهم الله مكللين بفتح مكة وانتشـار السلام فى شبه الجزيرة العربية!».

* * *

«النبـى – عليـه السـلام – خالٍ إلى نفسـه بالمدينة، يتأمل فى أحوال الناس وعناد المكابرين وترهـات المنافقين ومن بقى من اليهود بالمدينة.. يسـتهزئون بفتـح مكة ومن الوعـد بملك الفرس والـروم، يقول بعضهم لبعـض: من أين لمحمد ملك فارس والروم، هم أعز وأمنع من ذلك؟..».

«النبى – عليه السلام – سابح فى تأملاته، يتنزل عليه جبريل عليه السلام فيلقنه من كلمات ربه..»

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾
(سورة آل عمران الآية: ٢٦)

(يرتفع الوحى)

* * *

«النبى – صلى الله عليه وسلم – فى خلوته، يتعبد ويتهجد ويناجى ربه، ويحمده على ما أفاء به وأعطاه للمسلمين من آيات وكرامة.. قد ضل الكفار والمشركون فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ (سورة آل عمران الآية: ٩٠).. هؤلاء الذين كفروا وأنكروا الحج قد أخزاهم الله، وأفاء الله سبحانه وتعالى على المسلمين وجعل البيت الحرام مباركًا ومثابة للناس وأمنًا يحجون إليه ليذكروا اسم الله فى أيام معلومات..».

«النبى – عليه السلام – فى خواطره، يتنزل عليه الروح الأمين، فيوحى إليه من كلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

(سورة آل عمران الآيتان: ٩٦، ٩٧)

(يرتفع الوحى)

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، يدخل ملهوفًا سراقة بن مالك المدلجى يريد أن ينقذ قومه بنى مدلج من جزاء عدائهم للإسلام.. فقد تردد أن النبى عليه الصلاة والسلام يزمع أن يوجه إليهم خالد بن الوليد. سراقة يتجه مباشرة إلى الرحمة المهداة عليه السلام..».

سراقة بن مالك : (للنبى) أنشدك النعمة يا رسول الله.

«ينبرى له الحاضرون متخوفين من تجرئه على الرسول عليه السلام..».

بعض الحاضرين : (يأمرونه فى انفعال) صه!

النبى : (فى رفق) دعوه. ما تريد؟

سراقة : بلغنى أنك تريد أن تبعث إلى قومى بنى مدلج وأنا أريد أن توادعهم فإن أسلم باقى الناس أسلموا ودخلوا الإسلام، وإن لم يسلموا لم تخشن قلوب قومك عليهم.

«النبى عليه السلام يلتمس خالد بن الوليد، فيناديه.. ويأخذ بيده وهو يشير إلى سراقة..».

النبى : (لخالد بن الوليد) اذهب معه وافعل ما يريد.

«خالد يلبى أمر الرحمة المهداة عليه السلام، وينصرف ومعه سراقة إلى قومه..».

* * *

«بالمسجد النبوى بعد أيام.. يدخل خالد بن الوليد، فيبادر إلى رسول الله عليه السلام، يخبره بأنه صالح بنى مدلج على ألاّ يعينوا على رسول الله عليه الصلاة والسلام، وأنهم لن يعادوه وأنهم إن أسلم باقى الناس أسلموا معهم ودخلوا فى باحة الإسلام..».

* * *

«النبى عليه السلام فى خلوته يتعبد ويتحنث، ويناجى ربه، يتنزل عليه جبريل عليه السلام، فيلقنه من كلمات ربه».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾.

(سورة النساء الآية: ٩٠)

(يرتفع الوحى)

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، وقد فرغ النبى - عليه السلام - لتوه من صلاة الصبح.. بين

المصلين رجل من جهينة صديق لكعب بن زهير ويقيم بالمدينة، لاذ به كعب بأمس ليأتى به اليوم ليستأمن الرحمة المهداة ويعتذر إليه.. الجهينى يشير إلى رسول الله..».

الجهينى : (لكعب بن زهير) هذا رسول الله، فقم إليه فاستأمنه..

كعب بن زهير : (يتردد فى توجس) أتراه؟

الجهينى : (يقاطعه مشجعًا) اذهب فإنه لا يرد تائبًا ولا معتذرًا..

«كعب بن زهير يمضى متشجعًا إلى مجلس النبى - عليه السلام - وسط صحابته من المهاجرين والأنصار.. يجلس بين الجالسين، ويغتنم فرصة أن النبى لا يعرفه فيمد يده ويضعها فى يد النبى عليه السلام..».

كعب بن زهير : يا رسول الله، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبًا مسلمًا، فهل أنت قابل منه ذلك إن جئتك به؟

النبى : (والسماحة تعلو وجهه) نعم.

كعب : أنا يا رسول الله كعب بن زهير.

«رجل من الأنصار يقفز واقفًا كمن لدغته عقرب حين سمع ما صرح به كعب!».

الأنصارى : يا رسول الله، دعنى وعدو الله أضرب عنقه..

النبى : (فى سماحة) دعه عنك، فإنه قد جاء تائبًا نازعًا عما كان عليه.

كعب : (ينشد)

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلبى اليَومَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إثْرَهَا لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ
وَمَا سُعادُ غَدَاةَ البَيْنِ إذ رَحلوا إلاّ أَغَنُّ غَضِيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

«يمضى كعب بن زهير فى ارتجال القصيدة حتى ينشد..»

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِى ... وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ

مَهْلاً هَدَاكَ الذِى أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الـ ... قُرْآنِ فِيهَا مَوَاعِيظٌ وتَفْصِيلُ

لاَ تَأْخُذَنِّى بِأَقْوَالِ الوُشَاةِ وَلَمْ ... أُذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِىَّ الأَقَاوِيلُ

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

فِى عُصْبَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ ... بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا: زُولُوا

زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ وَلاَ كُشُفٌ ... عِنْدَ اللقَاءِ وَلاَ مِيلٌ مَعَازِيلُ

شُمُّ الْعَرَانِينِ أَبْطَالٌ لَبُوسُهُمُ ... مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِى الْهَيْجَا سَرَابِيلُ

بِيضٌ سَوَابِغُ قَدْ شُكَّتْ لَهَا حَلَقٌ ... كَأَنَّهَا حَلَقُ الْقَفْعَاءِ مَجْدُولُ

لَيْسُوا مَفَارِيحَ إِنْ نَالَتْ رِمَاحُهُمُ ... قَوْمًا وَلَيْسُوا مَجَازِيعًا إِذَا نِيلُوا

يَمْشُونَ مَشْيَ الْجِمَالِ الزُّهْرِ يَعْصِمُهُمْ ... ضَرْبٌ إِذَا عَرَّدَ السُّودُ التَّنَابِيلُ

لاَ يَقَعُ الطَّعْنُ إِلاَّ فِى نُحُورِهِمُ ... وَمَا لَهُمْ عَنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ تَهْلِيلُ

«النبى - عليه السلام - يخلع عليه بردته بينما تشيع المسرة ويتجاوب المسجد بتكبيرات المسلمين».

* * *

«مكة بعد أن غادرها الرسول - عليه السلام - إلى الجعرانة وقد انتوى العودة إلى المدينة تاركًا على الناس عَتَّاب بن أسيد ومعه معاذ بن جبل لتفقيه الناس فى الدين وتعليمهم القرآن.. يتناهى إلى عتَّاب أن بعض سراة قريش يتشاورون فيما بينهم ليرتبوا له معاشًا بمكة.. ما إن يبلغه ما يدور، حتى يبادر إلى منتدى قريش بظاهر الكعبة..».

عتَّاب بن أسيد : (وقـد التأم إليه الناس) يا أيها النـاس، أجاع الله كبد من جاع على درهم!

«النـاس يتبادلون النظر متسـائلين فى حيرة عما إليه يقصد!»

عتَّاب : (يستأنف) قد رزقنى رسول الله درهمًا كل يوم، فليست بى حاجة إلى أحد!

* * *

«بيداء وقرى ومضارب القبائل فى شبه الجزيرة العربية بعد فتحَ مكة.. هبار بن الأسود هائم على وجهـه، لا يهدأ به مقام.. يقول لنفسـه أنه ما كان يكفيـه يوم الفتح أن يلوذ بالمسـجد أو يغلق عليه بابه!!.. إنه ليعرف أنه قد سلف منه ما لا يستحق عفوًا ولا سماحًا.. ألم يضرب زينب بنت محمـد برمحه يوم هجرتهـا فظلت تعانى حتى سـقط حملها؟!! ويتردد أنها ظلـت تعانى من ذلك حتى لاقت ربها! ألم يسـب النبى – عليه السلام – فى كل مكان، ويشـن عليه حربًا شعواء لا هـوادة فيهـا ولا خـلاق؟!.. لا مناص إذن مـن الفرار.. ولكن ها هو قد طال فراره وأظلمت فى وجهه الدنيا.. يقول لنفسـه: يتحدثون عن محمـد بأنه بار رحيم.. أما من سـبيل لصفحه وعفوه؟! يوجـه نفسـه تجـاه المدينة وقد أزمع أمره..».

* * *

«المدينـــة، المســجد النبوى. النبـــى – عليه السلام – وســط صحابته، يطلع عليهم هبار بن الأسود من باب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يتصايح عليه بعض المســلمين، ولكن النبى – عليه الســلام – يكفهم بإشــارة من يده.. يمضى هبار حتى يقف أمام الرحمة المهداة..».

هبار بن الأسود : (مبتــدرًا) يا محمد! سُــبَّ من سَــبَّك، إنى قــد جئت مقرًا بالإســلام.. أشــهــد أن لا إله إلاّ الله وحــده لا شريك لــه، وأنك رسول الله.. لقد هربت منك فى البلاد وأردت اللحاق بالأعاجم، ثم ذكرت عائدتــك وفضلك وبرك وصفحك عمن جهل عليك، وكنا يا رسول الله أهل شرك، فهدانا الله بك، وأنقذنــا بك من الهلكة، فاصفح عن جهلى وعما كان يبلغك عنى، فإنى مقر بسوء فعلى، ومعترف بذنبى.

النبى : قد عفوت عنك، وقد أحســن الله بك حيث هداك للإسلام، والإسلام يجب ما كان قبله.

* * *

«المدينــة، المســجد النبوى.. النبــى – عليه الســلام – فى صحابته من المهاجرين والأنصار.. يدخل إلى المسجد وفد من الطائف ليبايعوا رسول الله.. بينهم شــخص أســود قــوى البنيان: إنه وحشى قاتل حمزة بن عبد المطلب، فَرَّ يوم الفتح من مكة إلى الطائف حيث مكث بها وأتى مندسًا بين وفدها يأمل أن يصفح عنه الرحمــة المهــداة..

وحشـــى يشق طريقه بين الوفد ويقف أمام رسول الله – عليه السلام..».

وحشى : (مبتدرًا) أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمدًا رسول الله..

النبى : وحشى؟!

وحشى : نعم.

النبى : اجلس.. حدثنى كيف قتلت حمزة!

«وحشى يجلس بين يدى النبى ويطفق يـروى ما كان من تربصه وقتله حمزة غيلة يوم أحد!!».

النبى : (قد غلبه التأثر) غيب عنى وجهك!

وحشى : أأنا آمن؟

النبى : (وهو يومئ موافقًا) غيب عنى وجهك. لا أراك!

«وحشـــى ينطلق فرحًا لا يكاد يصدق أنه فاز بالعفو والأمان..».

* * *

«العاليـــة.. مـــن ضواحى المدينـــة، فى ذى الحجـــة للســـنة الثامنـــة للهجرة حيث أســـكن النبـــى – عليـــه الســـلام – ماريـــة المصرية فى «المال» (يقـــال لـــه اليوم: مشـــربة أم إبراهيم).. يصل النبى – عليه الســـلام – قادمًا من المسجد النبوى علـــى عجل بعد أن أخطره البشـــير بأن ماريـــة قـــد جاءتهـــا آلام المخـــاض وتوشـــك أن تضـــع حملها.. قد جاءتها بوادر حمل مســـتكن

فكتمت خبره شـهرين مخافة أن يكون إحساسًا كاذبًا، فلما أيقنت أفضت إلى أختها «سـيرين»، وحملت البشـارة إلى الرحمة المهـداة.. إنه عليه السـلام ليذكـر كيـف امتلأت صفحـة وجدانه بالرضا والمسـرة وهو يتلقى خبر الحمل بعد شتاء الأحزان.. لقد فقـد ابنته زينب ومن قبلها رقية وأم كلثوم، ومات عبد الله والقاسـم.. ما إن أتاه – عليه السلام – الخبر حتى سرت البشرى فى أنحاء المدينة أن النبى – عليه السـلام – ينتظر مولودًا لـه من مارية المصرية.. مـن يومها وقد لاحـظ – عليه السـلام – توعكها وقلقها، نقلها إلى «العالية» بضواحى المدينة لراحتها وسلامتها والعنايـة بصحتها برعاية أختها سـيرين.. وها هى الشـهور تمضى وتأتيه البشـارة بأنهـا توشك على وضع مولودها..».

«بصحن الدار بالعالية، النبى – عليه السلام – منتح بنفسـه وقد ملأته الأشـواق، واتجه إلى ربه بالشـكر والدعاء.. تخرج إليه فرحةً القابلة سلمى: أم رافع..» .

أم رافع : أبشر يا رسول الله، قد رزقك الله بمولود ذكر..

«النبـى – صلى الله عليه وسـلم – يتجه إلى ربه شـاكرًا، ويخف إلى مارية فيهنئها بمولودها الذى أعتقها من الرق، ثم يلتفت بحنين واشتياق إلى المولود وقد ملأته الغبطة والمسرة، يحمله بين

يديــه ويضعه فى حنان بعــد أن سماه «إبراهيم» تيمنًا باســم أبى الأنبياء إبراهيم الخليل – عليه السلام..».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، النبى – عليه السلام – بين صحابته وقد سبقته الأخبار إلى المدينة..».

النبى : (لأصحابه) ولد لى الليلة غلام فسميته باسم أبى إبراهيم.

الصحابة : بارك الله فيه..

«تتعالى بالمســجد تكبيرات المسلمين، وينتشر الخبر فتتســابق نســاء المســلمين للفوز بإرضاع الوليــد، وتبيت المدينة حتى الصباح وقد شملتها المســرة فرحًــا بميلاد ولــد لرســول الله – عليه السلام..».

* * *